# مؤتمر إبن خلدون

## "علامة الشرق والغرب"

**أكتوبر 2012**

**جامعة النجاح الوطنية**

**مقدمة من الدكتور جواد فطاير**

**اخصائي علم الإجتماع العلاجي**

**كلية الطب والعلوم الصحية**

**جامعة النجاح الوطنية**

**jfatayer@najah.edu**

**رائد مؤسس علم الإجتماعي العلاجي التطبيقي**

لقد إحتلت اعمال إبن خلدون الصدارة في مجال الدراسات الامبريقية التطبيقية للمجتمعات الإسلامية في القرن الرابع عشر فقد سبقت نظرياته ومعالجاته الإجتماعية العديد من المفكرين والفلاسفة الإجتماعية مثل كارل ماركس وماكس ويبر ودوركايم وكومت.

قدم إبن خلدون في مقدمته الشهيرة أفضل رؤية علمية شاملة في العلوم الإنسانية وإستطاع أن يبدع في وضع الملامح الحديثة للمبادئ الإجتماعية حيث عّرف علم الإجتماع على أنه "**الدراسة العلمية للمجتمع الإنساني بأشكاله المختلفة**" وهنا كان يقصد أنماط المجتمع العربي المسلم مثل المجتمع البدوي والريفي والحضري.

كما قدم في نظرياته طبيعة وخواص كل شكل ونمط من هذه المجتمعات إضافة إلى القوانين التي تحكم تطورها من خلال فهمه وتدقيقه بالخصائص الثقافية لكل من هذه الأنماط الإجتماعية السائدة.

وهنا نستعرض بعض من اهم المبادىء الإجتماعية العلمية التي قدمها إبن خلدون والتي لا تزال تستخدم في التحليل الإجتماعي Sociological Analysis المعاصر حول العالم من العديد من المفكرين الإجتماعيين وتعتبر هذه المبادىء بمثابة إداة او وسيلة علمية للتحليل الإجتماعي الذي تقوم عليه عملية التدخل (Intervention) او المعالجة الإجتماعية للقضية تحت البحث ومن هذه المبادىء مايلي:

1. تخضع الظواهر الإجتماعية لقوانين شبيهة بالقوانين الطبيعية.
2. تنطبق هذه القوانين على الجماعات الإجتماعية ولا تخضع لتأثير الأفراد بمعزل عن الجماعة.
3. تتمحور أهمية هذه القوانين الإجتماعية حول تجميع المعلومات والحقائق الإجتماعية وملاحظة الظروف العلمية الموضوعية ومراقبة حركتها ولايمكن فهمها او تفسيرها الا في سياقها الثقافي التاريخي وربطها بالاحداث المعاصرة التي هي موضوع البحث.
4. المجتماعات الإنسابية في حالة ( Dynamic) ديمومة وحركة وهي ليست كيانات ساكنة ومن هذا المبدأ تتغير وتتحول الأنماط الإجتماعية نتيجة للتفاعل الإجتماعي والتواصل بين البشر وبين الطبقات الإجتماعية و يتأثر ذلك بالفوارق الإقتصادية وغياب العدالة الإجتماعية (Social Justice).

5. القوانين الإجتماعية لا تعكس الواقع البيولوجي للبشر بل هي إنعكاس لحركة وقوى إجتماعية مختلفة.

يتفق العديد من المفكرين الغربيين المعاصرين والحديثين شرقيين وغربيين أن إبن خلدون هو أول من جعل الظاهرة الإجتماعية (Social Phenomenon) موضوعاً أساسياً للمناهج العلمية والبحث الميداني الذي ادى إلى العديد من الحقائق (Social Facts) التي تماثل القوانين الطبيعية وهذا من جعله رائداً متميزاً في هذا مجال الفلسفة الإجتماعية البشرية وعلم الإجتماع العلاجي(Clinical Sociology).

فقد أخذ المجتمع المسلم موضوعاً للبحث وإبتكر الأساليب العلمية التي مكنته من معالجة مشاكل وقضايا مهمة آنذاك مما إعتبره المفكرون الغربين بداية نقلة جديدة في العلم وحجر الاساس لعلم حقيقي سمي فيما بعد علم الإجتماع او علم المجتماعات الإنسانية(Sociology).

وعلى الرغم من إعتبار العالم الفرنسي اوجست كومت مؤسساً لعلم الإجتماع الغربي الإ إن الملاحظين والفاحصين لأعمال كومت لا يجدون صعوبة في ربط أعمال إبن حلدون ونظرياته ورؤيته للظاهرة الإجتماعية بأعمال كومت الذي أتى بعده بحوالي اربعة قرون.

يعتبر إبن خلدون نقطة تحول (Paradigm Shift) في التاريخ الإنساني بتقديمه العلم الذي يدرس المجتمع وحركته وتغيره فقد هزت نظرياته التفكير الإنساني منذ القرن الرابع عشر في أوروبا أكثر من أي مكان أخر وذلك نظراً للتقارب الجغرافي ما بين المغرب العربي وأسبانيا وأوروبا في ذلك العصر والقرن الرابع عشر.

**ابن خلدون والتغير الاجتماعي:**

من أهم ما لفت الأنظار امام الفلاسفة والمفكرين الإجتماعين آنذاك ولاتزال رؤية إبن خلدون لتفسير وجود المجتمع والتغيير الإجتماعي (Social Change) والعلاقات الإجتماعية السائدة (Social Relationships) ودلالات ذلك ما يلي:

1. إيمانه المطلق أن الإنسان كائن إجتماعي (Social being) لا يستطيع العيش الا مع الأخرين حيث قدم مقولته الشهيرة "الإنسان مدني بالطبع"

2. إيمانه أن الإنسان لا يستتطيع العيش في عزلة أو إنفراد بل يسعى دائماً أن يكون جزءاً من جماعة(Social Group).
3. إذا وجدت الجماعة فلابد من وجود حاكم – قائدLeadership ينظم العلاقات الإجتماعية.
4. وجود الجماعات يؤدي إلى وجود دولة/حكومة( State ) تتراوح من حاكم على جماعة صغيرة إلى حاكم مستبد لمجتمع كبير.
5. يستطيع الحاكم المستبد أن يستغل ويتلاعب بكل الوسائط المتاحة لكي يسير التكتلات الإجتماعية كي يضمن قوته ويأكد إستبداده ويقيم دولته الخاصة به!
6. تمر الدولة بمراحل (Stages) مختلفة حددها إبن خلدون في مقدمته وملخصها البداية– الشباب –الشيخوخة والزوال حيث تتفاقم الأزمات الإقتصادية وتغيب العدالة الإجتماعية وتنهار الدولة.

وقد إستعرض في مقدمته العديد من الأسر الحاكمة (Dynasties) التي تمكنت من تكوين دوله او إماره ثم ادى الفساد الى إنتشار الكسل والرخاء المفرط وغياب الصناعة والمصانع والعمل والتعلم.

كما أشار إبن خلدون إلى خطورة عدم رضا المواطن من أداء الحاكم وعدم قربه من الرعية والذي يشجع في النهاية جماعات وأسر حاكمة أخرى لتنقض على الحاكم كما أشار إلى إنتشار الفساد فيها والرذيلة في المدينة والمجتمع الحضري (Urban Community) مما يدفع بتشكيل جماعات مسلحة تستخدم العنف لإسقاط الحاكم وتغيره. تحليل أقرب ما يكون بما تراه اعيننا وتفسره عقولنا عن موجات التغيير التي يمر بها عالمنا العربي والاسلامي المعاصر في القرن الحادي والعشرين. بل خلال السنوات القليلة الماضية.

**ابن خلدون كعالم الاجتماع التطبيقي العلاجي :**

تشير الفقرة التالية الى عدد من المفاهيم والادوات الاساسية في علم الاجتماع العلاجي التطبيقي قدمها ابن خلدون منذ ستة قرون مما يجعله الرائد في هذا المجال وهي كالتالي:

- التضامن الاجتماعي (Social Solidarity): وقد أشار الى قوة التضامن الاجتماعي في المجتمع البدوي حيث تأثير القرابة والدم والعشيرة مقارنة بالمجتمع الحضري الذي عانى من ضعف في التضامن الاجتماعي.

- تقسيم العمل( Division of Labor): وقد أشار الى أن تقسيم العمل والصنعة هي أساس المجتمع الحضري وهو المفتاح الذي يمكن المدنية من العيش، حيث توجد التخصصات المختلفة التي تزود الناس باحتياجاتها المختلفة.
- الحضارة ( Civilization): أشار أن الحضارة تحتاج الى المدينة كي توفر لها الثراء الثقافي والاقتصادي من خلال التخصصات والمؤسسات.
- المدنية والحياة الحضرية (City and Urban life): أشار الى تأثير تقسيم العمل والحياة المدنية على إضعاف التكاتف والتضامن الاجتماعي وتهديد روح الأسرة.
- الروابط الاجتماعية الجديدة: (Modern Social Ties) أشار الى وجود روابط جديدة وأنظمة اجتماعية حديثة تحل محل الروابط القبلية التقليدية وخاصة في المدينة. وأشار الى أن الروابط الدينية والعقيدة (Religious Beliefs) تبقى أهم الروابط بين البشر وهي أهم ما يجتمع عليه الناس في المجتمع الحديث.
- (Asabeia Tribalism) أشار الى أهمية وخطورة العصبية القبلية، حيث يسود الدعم والتكاتف القبلي – العشائري ويّمكن الحاكم وزبانيته من الثراء والرخاء على حساب العامة، وتختلف المصالح الاقتصادية والسياسية في المجتمع، ويتدهور التضامن الاجتماعي العام الذي يصون حياة المجتمع، ويكون الثمن والنتيجة هو الفساد والثراء للقلة ورفع الضرائب وانشار الظلم ... مما يدعو الى حتمية التغيير الاجتماعي.

**ابن خلدون مستشاراً ووزيراً :**

قدم ابن خلدون تطبيقات شتى للتصورات الاجتماعية ( Sociological Imaginations)، حملتها نظريته للمجتمع الانساني ، وتمكن من نقل النظرية من المجرد Abstract الى الواقع الاجتماعي (Social Reality) الذي يعيشه، فقدم العديد من ملاحظاته وتصوراته وتحليلاته الاجتماعية العلاجية للمسؤولين والحكام في عصره في مصر والمغرب، ومن مؤشرات نجاح رؤيته أن سادت خبرته الواسعة البلاد الاسلامية مما دعى حاكم المغرب أن يجعله **وزيرا للخارجية** ، كما دعى حاكم مصر الى تعيينه **رئيسا للقضاة** في مصر.

فلم يقدم ابن خلدون رؤية الا وكانت مبنية على البحث الميداني الذي طوره الى تدخل إجتماعي لحل ومعالجة القضايا الاجتماعية والسياسية المختلفة في عصره. هذا ما جعله رائدا لعلم الاجتماع وممارسا

مهنيا (Professional Practitioner) لهذا العلم الذي لم يقدمه ابن خلدون يوما على انه علما نظريا بحت بل علم تتفاعل أفكاره مع حركة المجتمع وأمراضه وازماته المختلفة.

لقد قدم ابن خلدون منذ سبعة قرون النظرية والمناهج والتطبيقات لعلم يتمحور حول الوجود الانساني، علم يتفوق على حدود الزمان والمكان ، علم يسلط الضوء على سلوك البشر ورغبتهم في التغيير، حيث يضعف الانتماء والولاء للجماعة الكبيرة نتيجة خلل بنيوي في النظام الاجتماعي الذي يتداعى الى ان تتمكن موجات التغيير من ايجاد البديل الافضل.

**المراجع:**


- مقدمة ابن خلدون
- Encyclopedia of Sociology 2nd Edition
- Sociological Theory; Gorge Ritzer 4th Edition, 1996
- Bernard Lewis :"Ibn Khaldun in Turkey",in : Ibn Khaldun :The Mediterranean in the 14th Century : Rise and Fall of Empires, Foundation El Legado Andalusi ,2006
- Rosenthal , Franz . Ibn Khaldun : The Muqaddimah .
- Enan Muhammed Abdullah (2007). Ibn Khaldun : His Life and Works.
- Fuad Baali ,2005 The science of human social organization : Conflicting views on Ibn Khaldun's (1332-1406) IIm al-umran .Mellen studies sociology .Lewiston/NY.
- Ibn Khaldun . 1951 . التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا Al-Ta'rif bi Ibn Khaldun wa Rihlatuhu Gharban wa Sharqan . Published by Muhammad ibn-Tawit at-Tanji. Cairo(Autobiography in Arabic. (
- Ibn Khaldun .1967 The Muqaddimah :An introduction to history. Trans Franz Rosenthal.
- Muslim Scientists and Scholars – Ibn Khaldun
- Ibn Khaldun , from Arnold Toynbee . A Study of Histroy.

- Ibn Khaldun (al-Muqaddimah): Methodology & concepts of economic sociology.
- Ibn Khaldun . The Mediterranean in the 14th century :Rise and fall of Empires. Andalusian Legacy exhibition in the Alcazar Sevlle.
- The Ibn Khaldun Community Service Award.